



هل لنا أن نحلم أن يعود وطنينا إلى غرفتنا الهدئة بسلام، وهل لنا أن نعود إلى مساءاتنا مع عائلاتنا حاملين أكلة جديدة للأولاد، وهل لنا أن نشطح بخيالنا إلى نقطة الذروة التي يمكن أن تنسى أطفالنا البسطار العسكري أي (الحذاء العسكري) الذي غزا دمشق.

قبل تسعه أشهر من الآن كان من النادر أن تمشي في شوارع دمشق وتلتقي بأكثر من شخص بالزي العسكري الرسمي، وحتى لو التقيت بواحد أو اثنين فإن هذا اللقاء لا يترك في نفسك أثراً سلبياً كان أو إيجابياً.

والآن وبعد تسعه أشهر من عمر الثورة السورية أصبح من النادر أن تمشي بضع خطوات دون أن تشاهد سيارة عسكرية تحمل عشرة أو أكثر من العساكر لتنزلهم في مكان واحد ولينتشروا بسرعة في ذلك المكان وكأنهم متوجهين إلى الحرب بعتادهم وأسلحتهم الكاملة، يبدأ قلبك بالرجفان وعيونك بالزوجان، ترى ماذا يريدون من التوزع في شارعي الذي أسكنه، هل أصبح لكل مواطن سوري دبابة، ولكل مواطن سوري (بارودة) لتصيبه في مقتله، وهل ندفع كمواطني صالحين ثمن الرصاص الذي سنقتل به.

هل سنبدأ برؤية الدبابات في شوارع دمشق متراقة مع البساطير العسكرية، ليصبح لكل مواطن دبابة في الحالة العامة، وربما يتم فرز للمدنيين منا دبابة إلى يسارنا وأخرى على يميننا وواحدة لنقل الأولاد ولكن ليس إلى المدرسة وإنما إلى ملأا للأيتام.

كل ما يشغل بال أي شخص يمر بجانب ذلك العدد من العساكر في أي من شوارع دمشق هو كيف يمكن له أن يخفي خوفه واضطرابه أمام طفله، وإن كان ذلك يستحق العناء فإنما يستحق العناء أكثر هو محاولة الإجابة بهدوء وروية عن أسئلة الطفل البريئة.

قتلني سؤال طفلي قبل يومين عن سبب حمل ذلك "العمو" للبارودة على كتفه، قتلني شعوري بالعجز أمام طفل لم يبلغ السنتين بعد، وما أهانني ربما، أن طفلي هذا كان أشجع مني وحاول أن يفلت من يدي ليركض إلى العسكري مرحاً به معتبراً أنه سيلعب معه لعبة الحرب.

ماذا لو لم أكن أمسك بيده وهرب فجأة باتجاهه، هل سيستوعب لبس البسطار الذي يرتدي عقدة ج彬يه قبل ملابسه طفلأً من بلده يركض باتجاهه، أجزم بلا.. لن يستوعب ولن يستطيع التفكير لحظة قبل أن يتصرف كأي عسكري يحمل سلاحاً على

وجهًا لوجه مع البارودة

وتصادف وجودي يوم الأحد الماضي أمام فندق الشام (مكان إقامة لجنة المراقبين العرب) في نفس اللحظة التي وصلت فيها سيارة مرسيدس سوداء "مفخمة"، وطبعاً للوهلة الأولى لم أنتبه لأهمية هذه السيارة إلى أن وقفـت أمامي سيارة من نوع (الavan) ملأـي بالشباب الذين يرتدون ملابـس رسمـية، وخلفـها وقفـت ثلاث سيارات ترجل منها حوالي 8 بالـزي العسكري الرسمي حاملـين أسلـحـتهم.

وركض الجميع باتجـاه المـرسـيدـسـ، وهو ما جعلـني بالـمـصادـفة وسط كلـ أولـئـكـ الملـهـوفـينـ علىـ سـلامـةـ أحدـ أـعـضـاءـ الـلـجـنةـ الذيـ يـترـجـلـ بـبـطـءـ مـنـهـ، وـربـماـ لمـ أـكـنـ أـدـركـ قـبـلـ هـذـهـ الـلحـظـةـ مـقـدـارـ الـخـوفـ الـذـيـ بـتـ كـفـتـاـ سـورـيـةـ أحـمـلـهـ مـنـ مشـاهـدـهـ كـلـ هـذـاـ الـكـمـ مـنـ عـسـكـرـيـيـنـ، وـلمـ يـخـطـرـ بـبـالـيـ لـحـظـتـهـ إـلـاـ أـنـ أـتـوـجـهـ إـلـىـ ذـلـكـ الشـخـصـ الـمـهـمـ جـداـ لـأـسـأـلـهـ: هلـ أـنـتـ خـائـفـ مـنـ الشـعـبـ السـوـرـيـ، أـمـ مـنـ هـذـاـ جـيـشـ الـذـيـ يـهـرـولـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ سـلامـتـكـ فـيـ وـسـطـ دـمـشـقـ فـيـ أـكـثـرـ الـمـنـاطـقـ هـدوـءـاـ وـرـقـيـاـ..

ربـماـ يـظـنـ الـكـثـيـرـوـنـ أـنـ دـمـشـقـ الـعـاصـمـةـ لـاـ تـحـمـلـ جـنـينـ ثـورـتهاـ، وـربـماـ يـظـنـ الـكـثـيـرـوـنـ أـنـ الـأـمـوـرـ هـنـاكـ أـكـثـرـ هـدوـءـاـ مـنـ أـنـ تـنـتـجـ أيـ نـشـاطـ ثـورـيـ كـمـاـ بـقـيـةـ الـمـدـنـ السـوـرـيـةـ، وـلـكـنـ مـاـ لـاـ يـعـرـفـهـ هـؤـلـاءـ أـنـ الـبـسـطـارـ الـعـسـكـرـيـ غـزـاـ الشـوـارـعـ وـالـحـارـاتـ، وـبـاتـ إـغـلاقـ الـكـثـيـرـ مـنـ الشـوـارـعـ الرـئـيـسـيـةـ أـمـرـاـ اـعـتـيـادـيـاـ مـاـ يـشـلـ الـحـرـكـةـ دـاـخـلـ الـمـدـنـ لـسـاعـاتـ، عـدـاـ عـنـ ذاتـ الشـللـ النـاتـجـ عـنـ الـمـسـيرـاتـ الـمـؤـيـدةـ الـتـيـ تـنـتـلـقـ دـائـمـاـ بـوـسـطـ الـمـدـنـ بـحـمـاـيـةـ عـسـكـرـيـةـ مـهـيـبةـ، مـاـ يـجـعـلـ أـيـ مواـطنـ سـوـرـيـ طـبـيـعـيـ مـعـارـضـ يـسـأـلـ نـفـسـهـ: أـيـنـ حـقـيـ فيـ شـوـارـعـ مـديـنـتـيـ، وـأـيـنـ حـقـيـ فيـ حـمـاـيـةـ الـجـيـشـ، وـلـيـصـلـ بـسـرـعـةـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ مـفـادـهـ "الـجـيـشـ لـهـمـ وـلـيـسـ لـنـاـ".

المصادر: